الولاية : عموم الولايات

التاريخ : 17. 03. 2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

جَنَقْ قَلْعَة: المَكانُ الذى تَحَوَّلَ إلى مَلْحَمَةٍ للشَّهادَة!

أيُّها المُؤمِنونَ الأعِزّاءُ!

يَقولُ اللهُ تَعالى فى مُحْكَمِ تَنْزيلِهِ: "تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ"1.

إخْوانى!

يَدْعُونا اللهُ تَعالى فى هَذِهِ الآيَةِ الكَريمَةِ إلى بِناءِ المُسْتَقْبَلِ بِأَخْذِ الدّروسِ والعِبَرِ مِنَ الماضى. فَالتّاريخُ يُمَثِّلُ حاضِرَنا ومُسْتَقْبَلَنا بِقَدْرِ ما يُمَثِّلُ ماضينا. التّاريخُ يَعْنى القِيَمَ التى تُنيرُ الطّريقَ أمامَ مُسْتَقْبَلِنا. وفى التّاريخِ انْتِصاراتٌ كَبيرَةٌ وأحْداثٌ عَظيمَةٌ يَنْبَغى نَقْلُها مِنْ جيلٍ إلى جيلٍ حتّى لا تَذْهَبَ أَدْراجَ النِّسْيانِ. وجَنَقْ قَلْعَة واحِدَةٌ مِنَ هَذِهِ الانْتِصاراتِ الكَبيرَةِ التى حَقَّقَتْها أُمَّتُنا.

إخْوانى الكِرامُ!

جَنَقْ قَلْعَةُ هى البُقْعَةُ التى تَصاغَرَتْ فيها الإمْكاناتُ المادِيَّةُ أمَامَ الإيمانِ. جَنَقْ قَلْعَةُ هى البُقْعَةُ التى تَجَلّتْ فيها مَرّةً أخْرى بُشْرى اللهِ فى كِتابِهِ الكَريم: "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"2. جَنَقْ قَلْعَةُ هى البُقْعَةُ التى انْتَصَرَ فيها الإيمانُ على الكُفْرِ، والحَقُّ على الباطِلِ، والمَظْلُومُ على الظّالِمِ. جَنَقْ قَلْعَةُ هى البُقْعَةُ التى سارَعَ إلَيْها أَبْناءُ الوَطَنِ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ وصَوْبٍ لِلاسْتِشْهادِ فى سَبيلِ المُقَدّساتِ. جَنَقْ قَلْعَةُ هى البُقْعَةُ التى تَحَوَّلَتْ إلى مَلْحَمَةٍ لِلشّهادَةِ، وتَشَرَّبَتْ الأمَّةُ بِعِشْقِ اللهِ كَما يَقولُ شاعِرُنا، شاعِرُ الاسْتِقْلالِ، المَرْحومُ مُحَمَّدْ عاكِفُ:

كَمْ أَنْتَ عَظيمٌ [أَيُّها الشَّهيد]! دَمُكَ الزّاكى أنْقَذَ التّوْحيد!

لَمْ يَكُنْ أُسُودُ بَدْرٍ عُظَماءَ إلّا بِهَذا القَدْرِ أَيُّها الشَّهيد!

أيُّها المُؤمِنونَ الأعِزّاءُ!

جَنَقْ قَلْعَة مَكانٌ اسْتِثْنائِيٌّ يُعَلِّمُ العالَمَ المُعاصِرَ أخْلاقَ الحُروبِ وحُقوقَهُ، وأُمَّتُنا تُعْطى دَرْساً فى الإنْسانِيّةِ، دَرْساً لا يُمْكِنُ نِسْيانُهُ أمامَ التّيّاراتِ الخائِنَةِ التى اسْتَهْدَفَتْ وُجودَها. فَجُنُودُنا أَبْدَوْا روحاً عالِيَةً وَهُمْ يَزْحَفونَ إلى الجَبَهاتِ مُكَبِّرينَ، وحَمَلوا على ظُهُورِهِمْ جُنودَ العَدُوِّ المُصابينَ، وسَقَوْهُمْ مِنْ قِرابِهِمْ.

إخْوانى!

جَنَتْ قَلْعَة وَاحِدَةٌ مِنْ أجْمَلِ مَظاهِرِ الالْتِفافِ حَوْلَ المَبادِئ والمِثالِيّاتِ المُشْتَرَكَةِ، وامْتِلاكِ وَعْيِ المِلَّةِ والأمَّةِ. جَنَتْ قَلْعَة نَموذَجٌ نادِرٌ لِعَدَمِ وُجودِ قِيمَةٍ تَعْلو على القِيَمِ المَعْنَوِيَّةِ. فَفى جَنَتْ قَلْعَة ضَحّى النّاسُ على اخْتِلافِ لُغاتِهِمْ وألْوانِهِمْ وجُغْرافِيّاتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ فى سَبيلِ الدّينِ والأمَّةِ والوَطَنِ والحَقِّ والحَقيقَةِ والعَدْلِ والفَضيلَةِ. وتَدَفّقَ النّاسُ إلَيْها مِنْ الأناضولِ والرّومَلِى والشامِ وبَغْدادَ والقاهِرَةِ وطَرابُلْسَ وأوسْكُوبَ وكُوسُوفُو وسراييفُو وبِلادِ القَفْقازِ مِنْ أجْلِ صَدِّ صَوْلاتِ الصَّلِيبِيّينَ الأخيرَةِ. فَلَمْ تُنْتَهَكْ عِزّةُ الأمَّةِ وكَرامَتُها، ولَمْ يُسْمَحْ بِتَلاشى آمالِ الأمَّةِ، ولَمْ يَقَعْ حاضِرُنا ومُسْتَقْبَلُنا أسيراً فى يَدِ الظُّلُماتِ.

إخْوانى الأعِزّاءُ!

إنَّهُ ما مِنْ شَكٍّ بِأنّنا سَنَحْتَفِلُ اليَوْمَ كَأُمَّةٍ بِنَصْرِ جَنَتْ قَلْعَةَ التى تُشَكِّلُ بِالنِّسْبَةِ لَنا نُقْطَةَ انْعِطافٍ. بِالتّأكيدُ سَنَسْتَمِرُّ فى الصُّعودِ إلى هَذِهِ المَنابِرِ والمَحاريبِ، والحَديثِ عَنْ هَذا الحَدَثِ العَظيمِ الذى لمْ يُسْبَقْ لَهُ نَظيرٌ فى التّاريخِ. لَكِنَّنا لا نَسْتَطيعُ الاكْتِفاءَ بِالحَديثِ عَنْ جَنَتْ قَلْعَةَ والانْتِصاراتِ الأخْرى، ولا نَسْتَطيعُ أنْ نَحْصُرَ نَصْرَنا هَذا فى مَراسِمَ مُحَدَّدَةٍ، ولا نَسْتَطيعُ أنْ نَظَلّ نَمْتَدِحُ بِنَجاحاتِ أجْدادِنا. المُهِمُّ فى الأمْرِ هو اسْتِخْلاصُ الدّروسِ والعِبَرِ الكَبيرَةِ مِنْ هَذِهِ النَّجاحاتِ، وبِناءُ حاضِرِنا ومُسْتَقْبَلِنا فى ضَوْءِ هَذِهِ الانْتِصاراتِ.

إخْوانى!

تَقَعُ اليَوْمَ عَلى عاتِقِنا مَهامُّ كَبيرَةٌ تَبْدَأُ بِإدْراكِ تِلْكَ الرّوحِ العَظيمَةِ التى تَحْمِلُها جَنَتْ قَلْعَةُ، ونَقْلِ هذهِ الروحِ الخالِدَةِ رَغْمَ المُحاوَلاتِ الخائِنَةِ مِنْ جيلٍ إلى جيلٍ، والتّمَسُّكِ بِذِكْرَياتِ شُهَدائِنا الأعِزّاءِ الذينَ تَرْقُدُ أجْسادُهُمْ تَحْتَ الثّرى مُؤْمِنينَ بِأَنَّهُمْ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقونَ، والتّمَسُّكِ بِالقِيَمِ العالِيَةِ التى ضَحّوْا بِأَنْفُسِهِمْ فى سَبيلِها، لِأنّ هَذا ما يُريدُهُ الشُّهَداءُ مِنّا، ولَوْ كُنّا لا نَسْتَطيعُ رُؤْيَةَ أجْسادِهِمُ المُعَطَّرَةِ بِطيبِ الجَنّةِ ولا نَسْمَعُ أصْواتَهُمْ.

إخْوانى الأعِزّاءُ!

أوَدُّ أنْ أخْتِمَ خُطْبَتَنا بِهذا الدّعاءِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَميعَ شُهَدائِنا الذينَ ضَحّوْا بِأَنْفُسِهِمْ فى سَبيلِكَ، ونَذَروا حَياتَهُمْ مِنْ أجْلِ حَياتِنا وعِزّتِنا وكَرامَتِنا فى أعْلى العِلّيينَ! واحْشُرْنا اللَّهُمَّ مَعَهُمْ!.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنا مِنَ الذينَ يَحْمِلونَ أرْواحَ شُهَدائِنا العالِيَةَ! اللَّهُمَّ اجْعَلْنا مِنَ الذينَ يُحْيُيونَ ذِكْرَياتِ شُهَدائِنا العَزيزَةَ! اللَّهُمَّ اجْعَلْنا مِنَ الذينَ يَتَمَسّكونَ بِالقِيَمِ التى ضَحَّى الشُّهَداءُ بِأَرْواحِهِمْ فى سَبيلِها! اللَّهُمَّ احْفَظْنا مِنْ أنْ نَخونَ هَذِهِ القِيَمَ!. اللهم آمين.

---

[1] البقرة، 2/ 134، 141.

[2] آل عمران، 3/ 139.